لكى تكون صوفيًا

احرز الرغيف ثم تعبد

للأستاذ محمد على الطعمى

واعظ مركز نجع حمادى

قال أبو سليمان الدارانى ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ، ولكن إبدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد.

التصوف طريق واضح مستنير معروف ، يرفع صاحبه إلى القمة . ويفاخر به دواما والتصوف من يوم أن عرفه العارفون محجة بيضاء للضالين والمتزمتين والمترددين ، والتصوف أبدا برهان لامع للبصير وغير البصير على حد سواء ، فقد خططت برامجه ورسمت أهدافه على كتاب الله وسنة رسوله ليكون فجرا فضفاضا فى جبين الزمان ، هذا أبو سليمان المتصوف يعبر بنا ميدان العمل ، ويدعونا إلى الكفاح والتعب والعرق فى سبيل لقمة العيش ثم يهتف لنا من حنايا ضلوعه وشغاف أكباده باحراز الرغيف. الرغيف الذى يملأ المعدة ويريح العقل من التفكير المرير ، والأمعاء من الفرقعة والغليان .

وأظن القارىء يعجب من جرأة أبى سليمان حين ينادى بجمع الرغيف أولا ، والسعى المتواصل فى تحقيقه ثم نتفرغ للعبادة ثانيا . وليس فى ذلك تعجب ، فقد علم القارىء الكريم أن لقمة العيش هى البنزين المحرك لجسم الانسان . وإنها لن تأتى سهلة ميسرة كبيضة مقشرة بأى حال .

قال سيدنا عمر رضى الله عنه لايقصد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى . فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة .

ومن هذا يتضح أن الدعاء

والتوكل فحسب يؤخران العبد عن معاشه ويجعلانه عرضة للقدح والذم حتى يصير مضغة فى أفواه الناس . ولنا فى أسرة الطير أروع الأمثال تغدو خماصا وتروح بطانا . على معنى أنها تتحرك من أعشاشها فى سبيل معاشها .

إن الدعاء والتوكل والعمل كالمثلث تماما لابد من أضلاعه الثلاث حتى نفهم أن هذا مثلث بحق وحقيق . وفى الحديث اعقلها وتوكل على الله .

لقى الأوزاعى . . إبراهيم بن أدهم وعلى عنقه حزمة حطب . فقال له يابن أدهم الى متى هذا ؟ اخوانك يكفونك . فقال ابراهيم دعنى من هذا . فانه بلغنى أنه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة وسيدنا ابراهيم هذا من كبار الصوفية الذين أضربوا عن مطايب الحياة وخفخة الملك واتجه بقلبه السليم إلى ساحة التصوف . فرأى لزاما عليه أن يأكل من عرق جبينه ويجمع الحطب ويحمله إلى السوق ، ليحمى وجهه ويصون عرضه من شر السؤال

فلماذا لا يعمل الانسان ويكد طوال يومه ويجهد نفسه ، ونحن اليوم فى حياة صاعدة وحركة مستمرة تتطلب السير فى ركابها والكدح من أجلها لنحقق الأمنية المنشودة بإذن الله ؟

إن المرء الذى يحمل سلعة أى سلعة ويدور بها فى الشوارع أو يمكث بها فى الأرض وينفق منها على نفسه وعياله تنزل عليه فيوضات ربانية . ويؤجر مثوبة كبرى بل يكتب عند الله صديقا ومن المجاهدين قال عليه السلام . التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء ، والزارع الذى يشق الأرض ويبذر الحب ويظل صيفا وشتاء فى مزرعته انه كالمجاهدين حقا . قال عليه السلام إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر .

والطالب المجد والصانع الماهر لهما نفس الأجر وخير الجزاء . قال عليه السلام أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح .

ومدرسة التصوف تدعو إلى العمل

لأنه من صميم رسالتها . وتراه واجبا على كل متصوف يؤمن بمبادئها . . مبادؤها التى جاءت بسعادة الدنيا والدين .

ثم من قال إن التصوف عزلة وخلوة وسياحة وتعويق عن تعمير الأرض . وتعلم العلم وابتعاد عن استعلال طاقة الحياة ؟؟ ومن قال أنه تفرغ للعبادات والزيارات وزهد يشبه الخمول . وخمول يشبه الزهد ؟ ؟

صدقونى إن التصوف يدعو دائما إلى الكفاح والبناء . وكل متصوف كسول لا يسعى حثيثا فى طلب الرزق فهو دعى شكلا ورسما ولا يحسب فى قائمة المتصوفين على الإطلاق .

لقد ملأ الصوفية الأول الأرض عملا . وغمروها حيوية ونشاطا . والجنيد والخواص وبشر الحافى وإبراهيم بن ادهم . وكل هؤلاء الزعماء اتجهوا إلى العمل ليحققوا كسبا نظيفا خاليا من القيل والقال .

قال بشر الحافى رضى الله عنه رأيت على بن أبى طالب فى النوم ، فقلت له ياأمير المؤمنين . ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبا للثواب ! فقال الأمام أحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة فى فضل الله .

ومن كلام الصوفية .

إذا ماممدت الكف التمس الغنى
الى غير من قال أسألونى فشلت
سأصبر جهدى فى صيانة عودتى .
وأرضى بدنياى وان هى قلت

فعلى المتصوف وغير المتصوف أن يناضل من أجل القوت . وأن يدخر من يومه لغده ، وأن يعتمد على الله ثم على نفسه ، وبذلك نشعر أننا أعزاء مساهمون فى الحياة كما وصتنا تعاليم الاسلام ؟

محمد على الطعمى

واعظ نجع حمادى